لماذا أنشد الشعر

للشاعر الأمريكي ريتشارد ايرهارت

عندما يسألني سائل « لماذا تعبر بالشعر عما تريد ان تقوله ؟ » اجيبه على الفور : « لان هذا ايسر لي واسهل . »

ويبدو انه كان علي ان اثبت ذلك بان اكتب مقالي هذا مستخدما الشعر فسنرى انه يتفوق على النثر في مجال الايحاءات والتداعي .

انني اقرض الشعر لاني مضطر الى الاستسلام لطوفان من الفرح المحموم ، فرح يقبع بين الحروف المتحركة ، هناك حيث يربض سر اللغة الاكبر . هذه الحروف المتحركة هي النهر او البحر الذي يشق طريقه بين الحروف الساكنة، الصلبة الضخمة. هذه التجربة هي في الواقع تجربة موسيقية.

واقرض الشعر لانني لا اعرف كم صيفا تبقى لي في حياتي هذه التي احياها . واريد ان اقول ان هذا الخاطر تردد علينا بصورة اكثر عنفا واشد الحاحا حين كانت اعمارنا تتأرجح بين العشرين والثلاثين .

ان الشعر اكثر حياة من النثر .

واقرض الشعر لان الشعر يحقق المتعة لروح الضعف الكامنة فينا ، بأشكالها ومراتبها المختلفة . والشعر يقود العقل من الجوهر المنطقي الى ذلك الجوهر الكهربائي الذي يتوهج في اكثر ساعات حياتنا غموضا ، وهو يتوهج بصور جد غريبة ، وفي اولى لحظات تبلور الشخصية .

كل هذه الحالات عرفها الانسان ، غير انه لم يستطع التعبير عنها ، الى ان جاء الشعر فحدد معالمها وصاغها في اشكال رائعة .

واقرض الشعر لان النثر يجعلك كسولا ، اما الشعر فيكسبك حيوية وذكاء .

والشعر يقفز بك الى الغاية التي ما بعدها غاية ، مع تركيز كبير مداره جوهر الاشياء . والشعر يعبر عن غاية الانسان ، وهدفه ، ورسالته . اما النثر فيخبرنا بما عرفناه سلفا . وهو يخبرنا في خطوات متثاقلة ، وبصورة فظة .

الشعر يوحي لك بوجود لانهائية لم تعرفها من قبل ، وبوجود شيء افضل ، شيء لم يكن موجودا من قبل .

ولو قد امعنت التفكير — بينما العمر يمضي بك — لو قد امعنت التفكير في بيت شعري بسيط « ظاهريا فقط» مثل :

— « حي
كوردة حمراء

لاستفدت اكثر مما تستفيد من قراءة الف صحيفة من النثر الذي يشرح لك موضوعا من الموضوعات . بالله عليك قل لي : مالذي ستشرحه هذه الصفحات الالف ؟

ان ذلك التشبيه ، البسيط ، للحب بالوردة الحمراء يخلف وراءه سحرا كبيرا . وينقلك هذا السحر الى روعة بيت هاملت :

— « وجود او لا وجود ، تلكم هي المشكلة . »

وسرعان مايسلمك هذا الى :

— « التألق ينساب ، هابطا من الهواء . »

انك قد تنتقل بعد هذا الى اي حقيقة شعرية عميقة تحبها وتعشقها .

في هذه الابيات ، وغيرها ، يبلغ عنصر التركيز ذروته ، الى حد انها تتشعب في ذهنك وتورق فروعها مثلما تورق الشجرة . ان الشعر يجعلك تعشق الحياة . واذا بك تصبح جزءا من شيء ابعد منك ، واكبر . وهكذا تندمج في علاقات وروابط خالدة ، ابدية وقد يغمرك في هذه الحالة شعور ديني عذب ، ذلك لانك لو فكرت — ولو ساعة من زمان — في احتمال وجود شيء غامض ذي طبيعة دينية ، فانك ستشعر وكأنك قد ولدت من جديد . . .

ثم ينتقل الشعر من البيت الموزون المقفى ليأخذ طريقه الى الشعر الاكبر ، شعر الحياة ، شعر كل ساعة ، وكل فعل وكل حركة . وتصبح انت صنوا للذي لايتغير . تستطيع ان تحقق هذا بصورة اكثر مهارة وابعد عن الافتعال اذا قرات الشعر لا النثر . ان الشاعر الذي يكتب لك قد يتعرض لمتاعب مؤلمة . اما انت ، ايها القارىء ، فقد تحظى بمتعة بعيدة كل البعد عن الالم وعن المتاعب .

ولكن بالرغم من كل ماقلت في السطور السابقة ، اعتبر كل محاولة للاجابة على السؤال « لماذا تكتب شعرا لانثرا » انتهاكا لحرمة الدوافع والحوافز التي تدفع الشاعر الى الكتابة وهو لايدري بها ، ولا يعرف كنهها . .

ان النثر هو الزوج ، والشعر : الزوجة . فاذا فصمنا عرى الروابط التي تربط بينهما ، عادا واجتمعا من جديد. ان النثر يعتمد — بغريزته — على الشعر ، والشعر يعتمد — بغريزته — على النثر . وهما يعترفان بهذا الاعتماد المتبادل .

الى سواد عينين ثانية

صبها ، صبها يحب السكارى ، خمرة العين مثل خمر الدوالي
صبها ياسواد ، يانكهة الاصال ، يالمح رونق الاصـــال
صبها يبترد لهاث مسافاتي ، ويطفيء جدا الظنون اشتعالي
انا ملقي على اراجيح وهمي ، اتلوى على زنود خيالـي
لا ابالي بكى بعيني جوع الكأس ، ام ضج كبرياء سؤالي .
طيب ياطيب ! ياغوى كل غوياء ، وسر ادعاء كـل دلال
ما احتفالي بأن اعيش ، ولكني بهذا الدجى الرعوش احتفالي
فمتى ادعي بأنك ملكي وبأني حرقت فيـك ضـلالي ؟

***

انا يالون ، يا اخضلال الاماسي ، وفوح العبير بين التلال
انا ياماس ، ياتوهج احلامي على درب غربتي وارتحالي
لي اللظى المر ، والتشوق ، والغربة ياليل ، لي وعود النوال
لي يا مرفأ الصبابات رحلات ، تناهى في ليلهـن مـآلي
لي رفيف ابترادة بين شطيك ، واهلا من بعدها بالزوال

***

طال ياموسم الغلال انتظاري ، ورمى اليأس ظله في سلالي
امن الال انت يالون عينيها فأغفو علـى حقـــول الال
صبها ، صبها يحب النشاوى خمرة العين مثل خمر الدوالي
صبها يا سواد جنت خوابيّ ، ومدت عيونهـا آمـالي
صبها يدعيك آهي ويدعوك حنيني ، ويشتهيك امتثالـي
حملته اليك في فورة الصبوة ، رنوات ماسك المتلالي
فأفض من ضيائك السمح ، يشرق القلق اللون في اصفرار الكلال

***

صبها ياسواد يانكهة الله ، واهـلا من بعدها بالزوال .

دمشـق — **خليل الخوري**
من الادبـاء العـرب

ومع ذلك فلكل طابعه الذي يميزه ، ولكل الشخصية التي ينفرد بها .

حسنا .. انني اقول ـ بالشعر ـ ما اريد ان اعبر عنه لان هذا الاجراء امر طبيعي بالنسبة لي ، امر لاتكلف فيـه ولا افتعال . ان اعظم رواية ، في اعظم نثر ، قد تحاول ان تقول في صفحاتها العديدة ماقاله الشاعر الانجليزي وليـام بليك في بيت واحـد : « اوه
يا أيتها الوردة
انـك لمريضـة ! »

والشعر يتحداني اكثر مما يتحداني النثر ، ويتطلب مني مجهودا اكثر واعنف . ذلك لان الشعر قائم علـى التركيز ، وعلى الكمال والصفاء ، ومن ثم يصبح احتمال الوقوع في الاخطاء اكثر في الشعر منه في النثر ـ ذلك النثـر الذي يعتمد على الاسهاب ، لا التركيز ، فـي التفسيـر والشرح والحكايـة ..

اننا نقرأ النثر لنعرف . ونقرأ الشعر لنكون اقويـاء . ونعني بالقوة هنا : عمق النظرة ، ولا نعني بها القوة المادية « بالرغم من ان الشعر قد يحققها . »

ان الشاعر يسلس قياده للشعر ـ ذلك الشكل البدائي المسحور ـ لان الشعر قوى ، لايكترث للمنفعة وعـدم المنفعة ، ولان الشعر يتحدى الزمن ، ويخاطب الـعرب ويستحثه ويولي وجهته شطره .

وعلينا الا نصل في الشعر الجيد الى تفسير واحد ، نهائي ... فالشعر الجيد يزودنا بايحاءات تدخل علينـا السرور والمتعة والرضا والاقتناع ، غير انها ايحـاءات لاتموت على مذبح العقل ..

والمرء عاجز عن استكناه كل اسرار الشعر ، ذلك الشعر الذي يستحث الروح ويرضيها . غير ان الروح نفسهـا سـر يحاول العقل بمنطقه ان يحطمه دائما ..

ترجمة محمد عبدالله الشفقي